

## موقفنا من تجاوزاتكم

Our Position on your Transgressions

رسالة موجهة إلى قادة الفكر والرأي في الغرب  
من مؤتمر (تعظيم حرمة الإسلام) - المنعقد بالكويت

مقدمة:

باسم الله الإله الواحد، الذي لا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه، رب الأنبياء: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد خاتم النبيين (صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً)، كتبت هذه الرسالة من قبل مجموعة من العلماء والمثقفين المسلمين اجتمعوا لبحث تطور العلاقة مع الغرب، والأسلوب الأمثل والأعقل للتعامل مع تنامي ظاهرة التعدي على حرمة الإسلام ومقدسات المسلمين من قبل أشخاص ومؤسسات وهيئات رسمية ودينية وإعلامية في الغرب. ونحن الموقعين نوجه هذه الرسالة إلى المفكرين والمثقفين وصناع القرار في الغرب، وإلى الزعامات الدينية والشعبية، بشأن تلك الظاهرة، ولهم نقول:

عندما يكثروا ويتكرر التعدي على رموز وحرمة أمة ما من قبل جماعات من أمة أخرى، فلا بد أن ترد العديد من الأسئلة حول أسباب هذا التعدي، والظروف التي تسهم في استمراره، وأن تتصدى له الأمة المعتدى عليها إن استطاعت، غير أن الخيار الأنسب لمصلحة البشرية جمعاء هو أن يتوقف الظلم والعدوان. والأمريعود في هذه الحالات إلى القيم الحضارية التي تحكم مسيرة الأمم وتوجهها.

وليس هناك أمة على وجه الأرض تعاني اليوم من الاحتلال والقهر والظلم من العالم الغربي بقدر ما تعانيه الأمة الإسلامية، وليس هناك شعوب أو أمم في عالم اليوم تعاني من الاستهزاء والاستهانة بحرمتها ودينها على يد البعض من الغرب بقدر ما تعاني منه هذه الأمة. وأصبحت هذه الظاهرة تمثل تحدياً وتعدياً غير مقبول، على أمة ذات رسالة سماوية وتاريخ عريق وحضارة أصيلة، يمثل أهلها اليوم أكثر من ربع سكان العالم. من أجل ذلك رأينا أن نوجه هذه الرسالة إلى قادة الفكر والرأي في الغرب لكي نلفت الأنظار إلى موقفنا من تلك الظاهرة.

علاقاتنا الحالية:

ندرك أن الموقف الأوروبي والغربي بالعموم منذ أول احتكاك له بالإسلام لم يكن موقفاً إيجابياً لاعتبارات متعددة، من أهمها: أن الأوروبيين لم يتعاملوا مع الإسلام بصفة مباشرة، بل كانت المسافة

بينهم وبين الإسلام كبيرة، وظل عامل التوجس والخوف ملازماً لهم، وتحول الأوروبيون المشتتون لصناعة تكتل ديني نصراني ضد الإسلام، ومن ثم تحول الإسلام في ذلك الوقت إلى عدو خارجي يمكن أن يجمع أوروبا بعد أن كانت شتاتاً يقتل بعضهم بعضاً. نحن على يقين أن التعميمات تؤدي إلى الكثير من الأخطاء في الحكم، وندرك أيضاً أن أوروبا وأمريكا قد حاولتا خلال القرون الماضية التخلص من بعض ما شاب الحضارة الغربية من عيوب ونقائص في مجال التعامل مع مخالفهم، لكن السنوات الأخيرة نسفت تلك المحاولات، ولهذا نؤكد أننا نعني بالغرب هنا عموم المجتمع الغربي، وليس فقط القوى المعادية للإسلام، ونخاطب في رسالتنا المنصفين أيضاً، وندرك أن الغرب ليس كله سواء.

ومع ذلك فإن متابعة ما يحدث على الساحة السياسية والإعلامية والفكرية والدينية في الغرب فيما يتعلق بالعلاقة مع العالم الإسلامي يؤكد أن المنصفين لم يقوموا بالدور المتوقع منهم. فالغرب ليس محقاً في مواقفه من الأمة الإسلامية، ومع ذلك شهدت الأعوام الأخيرة تمادياً لم يسبق له مثيل في الهجوم على الإسلام، والتعدي على حرمة الأمة.

### كيف نفسر الهجوم على حرمة الإسلام والمسلمين؟

يظهر لنا من خلال الخطاب الرسمي لقادة الغرب، ومن خلال الكتابات التي تعبر عن التيارات الفكرية السائدة في الحياة الغربية اليوم أن مواقف قاداتكم السياسيين الذين انتخبوا من قبل شعوبكم عن طريق انتخابات عامة تؤكد لنا أن الهجوم على العالم الإسلامي ليس حدثاً فردياً أورد فعل على موقف معين؛ إنه يبدو كمخطط تم إعداده بعناية لتقزيم الأمة الإسلامية في عالم اليوم. وهذا ما يفسر استخدام الرئيس الأمريكي "جورج بوش" لعبارة "الحرب الصليبية" في وصف حربه المفتوحة على ما يسمى "بالإرهاب" في العراق وأفغانستان، ويفسر كذلك عبارات رئيس وزراء إيطاليا السابق سيلفيو بيرلسكوني واتهاماته الجائرة للإسلام، واعتباره ديناً متخلفاً، متكرراً لعطائه عبر التاريخ الطويل. وقد تكررت مثل تلك التصريحات على لسان المستشار الألماني السابق الذي ذكر أنه لن يسمح للإسلام بتهديد الحضارة الأوروبية.

وهنا يتبادر للذهن سؤال ملح، وهو: ما الغرض الحقيقي من الهجوم بصوره المتعددة؟ إن كان التفسير هو حرية الرأي في نقد الأديان المخالفة، فنحن لانرى في الأدبيات الغربية المعاصرة هجوماً على المعتقدات الأخرى كاليهودية والبوذية وغيرها؟ وإنما رأينا الهجوم على الإسلام وحده مما يبطل تلك الدعوى. كما نتساءل: هل ما حدث أخيراً من أحداث سياسية هو سبب تلك الحملة؟ إننا لانوافق على مثل هذا الادعاء؛ لأن الهجوم على الإسلام قد سبق الأحداث الأخيرة التي اتهمت فيها قلة من المسلمين بالاعتداء، بل إن ذلك الهجوم لا يكاد يتوقف منذ بداية القرن الماضي. وإنما إذ نقر

بوجود بعض ممارسات العنف من قلة قليلة من أبناء المسلمين لا تمثل عمومهم. فإن الغرب نفسه كان ولا يزال سبباً رئيساً في تغذية هذا العنف في عالمنا العربي والإسلامي - باعتراف كثير من المفكرين والباحثين الغربيين - بما يمارسه من ظلم واحتلال ونهب للثروات والتدخل في الحريات الشخصية والفردية للمجتمعات.

إننا نجزم أن الأمة الإسلامية تقدم للبشرية مشروعاً حضارياً متكاملًا مختلفاً اختلافاً جذرياً عن الرؤى الغربية لمستقبل الإنسان وعلاقته بالإله والكون، ونظرته إلى الدنيا والآخرة. وهناك كثير من المفكرين والقادة المسلمين يرون أن الهجمة الحالية على الحرمات والشعائر الإسلامية إنما جاءت نتيجة لإدراك بعض القادة والمفكرين في الغرب أن العالم الإسلامي يستعيد نهضته، ويصحو من غفوته، لاستئناف رسالته في إصلاح البشرية وإسعادها، وأنه قد أصبح يمثل منافساً حقيقياً في المجالات الفكرية والحضارية.

إننا ننظر باهتمام إلى تقرير منظمة التسامح الديني بكندا، الذي يقدر عدد المسلمين عام 2003 بحوالي 1.226 مليار بما يمثل حوالي 19% من إجمالي سكان العالم في ذلك الوقت، ويؤكد أيضاً أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تنمو نسبة معتنقيه بينما تراجع نسبة معتنقي الأديان الكبرى الأخرى، كما توقعت أيضاً أن يكون الإسلام هو الدين الأول في العالم قبل عام 2023م. فهل هذه الإحصاءات الأخيرة هي الدافع في عودة نزعة الخوف من العالم الإسلامي لدى القادة والمفكرين في الغرب؟ إنه سؤال نوجهه إليكم؛ لأننا لا نملك أن نقطع بالإجابة عنه.

ومن اللافت للنظر أن المجتمعات الغربية قد أصبحت منزعة من مظاهر الإسلام في الحياة اليومية في الغرب، ولكن كيف يفسر هذا الانزعاج مع التركيز الدائم على دعوكم بتفوقكم في تطبيق مفاهيم الديمقراطية والحرية! نعم.. نحن نتحفظ على الكثير من الأطروحات الفكرية والثقافية للحضارة الغربية، رغم إقرارنا بالإبداع المدني والعمراني، ولكننا بالتأكيد نشعر بازدياد وواجبية المعايير عندما يستمر القادة والمفكرون في التأكيد على القيم الغربية المتمثلة في دعم الحريات الشخصية والنهج الديمقراطي في الوقت الذي نشهد فيه تنامي قمع حريات المسلمين في الغرب والتحريض على قمعهم في ديارهم، واحتلال بلادهم، واستمرار محاولات السيطرة والهيمنة الاستعمارية على العالم الإسلامي. لقد أصبح الأمران معاً يشكلان عناصر هامة في علاقة الغرب بالأمة - رغم الادعاءات التي تدل على خلاف ذلك.

إن العداء للعالم الإسلامي يتزايد بشكل ملحوظ في الحياة الغربية، ولم يعد العداء عسكرياً أو أمنياً فقط وإنما أصبح فكرياً وحضارياً أيضاً. كما نلاحظ بقلق انتقال الأجواء المعبرة عن العداء مؤخراً من قادة الغرب إلى الشعوب بفعل الإعلام والسياسات العدوانية التي تبرر ثقافياً وفكرياً. إننا ندرك

أن الإعلام الغربي ليس منفصلاً عن السياسات بل يتبادل الأدوار مع صناع القرار، وتشير استطلاعات الرأي إلى تنامي العداء الغربي العام للأمة الإسلامية. فاجتماع هذه الأمور تسبب في القبول العام في الغرب للهجوم والتعدي على حرمة الإسلام وشعائره ومظاهر التزام المسلمين بالدين أيضاً.

وقد نتج عن ذلك ما هو أخطر منه، وهو صد الشعوب عن قبول الهداية الربانية. ومن اللافت للنظر أيضاً أن ينجر التيار الديني في الغرب إلى المشاركة بقوة في هذه الحملة إما بتعمد إخفاء حقيقة الإسلام أو بإخفاء البشارات القطعية الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في العهدين القديم والجديد. أو بمحاولة تشويهه وتنفير الناس عنه!

نتساءل أخيراً عن أسباب الهجوم الإعلامي والسياسي في الغرب على الكتابات الغربية المنصفة التي تظهر أحياناً ولكنها تهاجم بعنف وضراوة، مما يؤكد أن في الغرب قوى ترى من مصلحتها ألا ترى الشعوب الغربية إلا صورة قاتمة وظالمة عن أمة الإسلام، وعن دين الإسلام.

### موقفنا من التعدي على حرمة الأمة:

إننا ننبه قادة الفكر والرأي في الغرب، إلى خطورة هذه الظاهرة المتزايدة، فلا يعقل ولا يقبل أن نشهد في أقل من ثلاثة أعوام حملات تعدٍ على حرماننا، تبدأ من التعدي على كتاب ربنا المعظم (القرآن الكريم) بتأليف ونشر وتوزيع كتاب بديل يسخر فيه تفصيلاً من ديننا عقيدة وشريعة وأخلاقاً وتاريخاً. بدأت بعد ذلك حملة مغرضة ومسفة، ضد شخص نبينا المصطفى، ﷺ، فتنتعته بأبشع الصفات، وتصوره رسماً بأكثر الرسومات سخرية واستهزاءً، حيث بدأ ذلك من خلال صحف بالدانمارك، ليتكرر في بلدان أوروبية عديدة، إما بالمشاركة أو بالتأييد. ثم تطور الأمر إلى وضع أسوأ بكثير، عندما وصف بابا الفاتيكان الإسلام والقرآن والنبي محمداً ﷺ في خطاب علني بصفات أقل ما يقال فيها إنها جائزة.

لم تغفل الأمة الإسلامية أيضاً عن متابعة صور الاستفزاز المتكرر بإهانة القرآن الكريم، على أيدي الجنود الأمريكيين في معسكرات الاعتقال في (أبو غريب) بالعراق و (جوانتانامو) في كوبا، حيث اقترنت إهانة الإنسان مع إهانة القرآن. وبمزيد من الدهشة والتعجب. يراقب المسلمون حملة التعدي على الحريات الشخصية للمسلمين المواطنين منهم والمقيمين في كبرى عواصم البلدان الغربية، وما صاحبها من هجوم ضد حجاب المرأة المسلمة في الغرب. كما لا ننسى التذكير بالاعتداءات على المساجد التي تتكرر في العراق وأفغانستان الواقعتين تحت الاحتلال، بالنسف المباشر أحياناً، وبالاعتحام بحجة البحث عن مسلحين وقتلهم داخلها أحياناً أخرى.

إن الأمة الإسلامية بمجموعها لا تتقبل نظرة الكراهية السائدة في الغرب اليوم عن العالم الإسلامي، والتي تظهر بشكل متكرر من خلال أقوال الكثير من القادة والسياسيين، ومن خلال كتابات بعض

المفكرين، وكذلك من خلال المنتجات الإعلامية المتعددة من أفلام ومسلسلات وقصص درجت على وصم الإسلام والمسلمين بالنقائص والعنف والإرهاب. إننا نؤكد على أهمية الحوار بوضو ابطه العلمية مع المنصفين في الغرب للوصول إلى معرفة الحق، وبالتالي للحد من هذه الظاهرة، مع يقيننا بأن الحديث عن الحوار لم يعد سوى وسيلة لتسوية أفعال الغرب، وقمع الرأي المخالف والفكر الإسلامي الأصيل. إننا نؤكد أن التواصل بين الحضارات في عالم اليوم ممكن، ولكن لا بد أن يسبقه تحقيق العدل والإنصاف. إن الهجوم على الهوية الإسلامية وحرمان الأمة لا يساعد على ذلك، ولا يمكن أن يكون مقدمة لأي حوار بناء أو فاعل، فما قيمة الكلمات الرنانة أو المجاملة عندما تسير الأفعال في اتجاه معاكس؟!

إن ظاهرة التعدي على حرمان الإسلام تتسم بعدم الموضوعية أو العقلانية، وقد أصبحت تمثل نوعاً من الاستعلاء الفكري والظلم الحضاري الذي لا تقبله أي أمة من أمم العالم. إن عالمنا الإسلامي لم يسلم من اعتداءات الغرب على أراضيه وشعبه ومقدراته على مدار القرنين الماضيين. وإن خطابنا لكم يجمع بين خطاب العقل والروح والوجدان.. فنحن أمة تعزب دينها وشخصيتها وحريتها، ولن ينجح أحد في إجبارها على تغيير موقفها هذا، بل إن تكرار التحدي لحرمتها والتعدي على قيمها ومقدساتها، يزيد شعوب العالم الإسلامي إقبالاً على الدين وإصراراً على حمايته وعلى الدفاع عنه، كما يزيدنا تمسكاً بالمقابلة بالمثل. إن السكوت عن استفحال هذه الظاهرة المتزايدة لن يجبر شعوب العالم الإسلامي على الخضوع لتلك الحملات، ولن يُكره عموم الناس على السكوت على التعديات الصادرة من بلادكم. كما نؤكد خطورة الواقع الحالي الذي يشير إلى أن صبر الشعوب الإسلامية على حملات التعدي قد بدأ ينفد وقد يخرج عن السيطرة.

إن اعتزازنا بقيمتنا وحضارتنا، وإصرارنا على حماية مقدساتنا، يعبر عن إيمان الأمة الإسلامية بأنها تملك ثروة من القيم والمثل الحضارية ومصادر النور والهداية مما لا يمكن التفریط فيها. لا شك أن العالم الإسلامي عانى مؤخراً من تعثر مسيرة التحديث والتنمية والإبداع المادي - لأسباب عديدة منها: تعديات الغرب في الغالب - ولكن لا يعني ذلك أننا أمة متخلفة حضارياً وقيميّاً. إننا نقدر ونقر أن مدنيتكم وحدائتكم التي تفرغتم لها واحتكرتم أسبابها، والتي أصبحت محط أنظار عموم البشر، وهي نتاج لتراكم حضارات العالم وإبداعه المدني والعمراني، ولكن هذه المدنية والحداثة لا تعني بالضرورة علو شأنكم في مجال التمسك بالعقائد أو الأفكار الحقّة، أو الالتزام بالقيم ومبادئ احترام الإنسان.

إن الأمة الإسلامية تدرك أن رصيدها العقدي والتشريعي والأخلاقي والقيمي، يتميز على جميع الشعوب والحضارات المعاصرة. ومن أجل ذلك ندعوكم إلى مراجعة مواقف الاستعلاء الحضاري على الآخرين،

ونلج على قادة الرأي والفكر لديكم أن يزيلوا غشاوة العناد الفكري الذي يصددهم عن الحياد الموضوعي والموقف النزيه من الإسلام بثقافته وقيمه ومبادئه. إن ما درجتم على تسميته بـ (حرب الأفكار)، هو خيار استعلائي لا نوافق عليه، لكننا لن نتخلف عن التصدي لما يؤدي مشاعرنا، فساحة الحرب في مجال الأفكار هي ساحة أمتنا، ونحن فرسان ميدها، ليس بالضرورة لتميز مفكرينا أو صناع القرار في عالمنا، ولكن بما عندنا من يقين وثقة لا تهتز في أصولنا وثوابتنا، وقناعتنا الراسخة بالقدرة على إظهار بل وتصحيح ما لدى حضارة الغرب من تناقضات حادة في ميادين الاعتقاد والفكر والمبادئ.

إن سكوت أغلبية قادة الفكر والرأي عن استنكار تكرار هذه الظواهر في بلادكم يجعلنا في حيرة من اختيار الخندق الذي نضعكم فيه: هل هو خندق الحريات وحقوق الإنسان. واحترام الآخرين، أم خندق كبت حرياتهم ومصادرة هوياتهم؟ إننا نتساءل: هل أنتم مع التطاول وازدراء الأنبياء باسم حرية الرأي، أم مع الحرية ضد ظاهرة المصادرة؟

من اتهامات حرب الأفكار:

لقد اتهم الإسلام بالعديد من الاتهامات في الأعوام الأخيرة على يد نخبة من المفكرين والشخصيات الدينية والسياسية في الغرب. وقد تراوحت هذه الاتهامات بين ادعاء أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف، وأنه لا مكان للعقل في الفكر الإسلامي، وأنه دين الإرهاب ونحو ذلك من الاتهامات الباطلة. وليس من الممكن أن تقدم هذه الرسالة تفصيلاً لدحض هذه الاتهامات، ولكننا فقط نشير إلى أنها اتهامات تتنافى مع منطق البحث العلمي والجدال العقلي.

نقر أن الإسلام انتشر من خلال الجهاد في سبيل الله ومن خلال الدعوة السلمية أيضاً، فجميع الحضارات احتاجت دائماً إلى القوة للدفاع عن مكتسباتها ومبادئها، ويشهد على ذلك أن منطق الحرب العادلة Just war هو ما استقرت عليه الكنيسة الأوروبية وكذلك التيار العلماني الغربي من أجل حماية المكتسبات الحضارية الغربية.. فلم الإنكار على الإسلام؟ وأنتم تقرؤون التاريخ وتعلمون أن إندونيسيا وماليزيا والفلبين، لم تصلها جيوش عسكرية، فكيف دخل ملايين البشر هؤلاء في الإسلام؟! بل إن السؤال الذي يفرض نفسه في عالم اليوم هو لماذا يستمر الإسلام في الانتشار في مختلف أنحاء العالم عموماً وفي الغرب بشكل خاص رغم عدم استخدام أي قوة؛ بل بتأثيره الذاتي، وتجاوب الفطرة معه. وخصوصاً أن الأمة العربية والإسلامية تعاني من ضعف عسكري لم يسبق له مثيل. إننا نعتقد أنه لا توجد حضارة بلا قوة – والإسلام ليس فقط ديناً بالمنطق الغربي للدين – وإنما هو خيار حياة وطريق نجاة، ولا بد للقوة من أن تحمي هذا الخيار.

أما الحديث عن دور العقل في حضارة الإسلام والحضارات الأخرى، فلا بد أن نمهد له بأن نقول إن المؤرخين يُجمعون على أن تاريخ الغرب حافل بإهدار العقل، أو عبادته، أي الانتقال من نقيض إلى نقيض آخر، في الوقت الذي عرف فيه العالم الإسلامي بالاعتدال في استخدام العقل، وتوظيفه بالشكل الصحيح لخدمة الإنسان والبشرية. ونتساءل: لماذا يحاول التيار الديني في الغرب الهجوم على دور العقل في الإسلام: هل هذا لإخفاء النقص عندهم... أم للتقرب من التيار العلماني في مواجهة الإسلام؟.

إننا ندعور رجال الكنيسة خصوصاً إلى مراجعة معتقداتهم مراجعة عقلية وعلى رأسها عقيدة الألوهية، وعندها سيدركون حجم التناقضات العقلية المذهلة فيها. وربما كان تسلط رجال الكنيسة وعداؤهم للعلم الحديث كان سبباً رئيساً للثورة عليهم، ودافعاً لموجة الإلحاد المادية التي تجتاح بلادهم.

أما ما شاع في الغرب من اتهام للأمة الإسلامية وللدين الإسلامي بما اصطلح الغرب على تسميته بالإرهاب، فهي تهمة ظالمة لا أساس لها في تاريخ وواقع هذه الأمة التي عرفت أنها أمة الرحمة والإحسان. إننا نريد من عقلاء العالم أن يتحدوا في كبح جماح الاعتداءات على الشعوب المسلمة والمسالمة.. وأن يعملوا على إعطاء الحقوق لأهلها في فلسطين والعراق و أفغانستان والصومال وغيرها من شعوب الأمة. كما نطلب من قادة الفكر والرأي في الغرب أن يبادروا بالتحريم من عقدة الحقد القديمة الموروثة من الحروب التي سماها الغرب "صليبية". نريد من الغرب أن يتخلى عن نظرة الاستعلاء تجاه هذه الأمة - فالأيام دول، ولا نقبل أن تكون النظرة التي ينظر بها الغرب إلى غيرهم نظرة الأسياد إلى العبيد. ومن يتهمنا اليوم بالغلو هو نفسه الذي تسبب بالأمس واليوم في معظم فظائع وكوارث القتل والحروب والتي حصدت عشرات الملايين من البشر في عالمنا المعاصر.

إن المفكرين في العالم الإسلامي يلاحظون التحول من بعض المعادين في الغرب من الهجوم على المسلمين إلى الهجوم على الإسلام.. ومن السعي إلى تغيير المسلمين.. إلى السعي لتغيير الإسلام. ونقول لهم: ليس الإسلام بحاجة إلى بروتستانتينية معاصرة.. لأن الإسلام عرف أنه دين التجديد. وهو ينتشر دون الحاجة لأن يتغير.. فلماذا تطالبون بتغييره؟ لقد بلغ الغرور ببعض المفكرين وصناع القرار في الغرب - كما نرى ونلاحظ - إلى الحد الذي جعلهم يدعون إلى إجراء إصلاحات عقديّة وفكرية في دين لا يكادون يعرفون عنه شيئاً إلا أنه مخالف لما اتفقت عليه النصرانية المعاصرة التي امتزجت بالليبرالية الغربية ليكونا معاً ديناً آخر يعتقد أن على كل مخالف له أن يغير من مواقفه لكي يتماشى مع ذلك الدين الجديد.

إننا على يقين أن بقاء الإسلام دون تحريف يظهر مشكلات الحضارة الغربية، ولذلك يسعى البعض في الغرب للتخلص من الإسلام بشكله النقي، فالإسلام كان وسيبقى ضمير البشرية -والذي نرى أنه لا صلاح للناس إلا به- بينما هناك من يريدون التخلص من تأنيب ذلك الضمير. كما أن بقاء الإسلام نقياً يهدم أسطورة نهاية التاريخ لدى البعض. إن إسلامنا الذي لا يقبل ولا يقرب أفكار الانتخاب الطبيعي.. وغلبة الأقوى يخالف الفكر العنصري والإقصائي الذي يظهر دائماً في الغرب ويرافق الهيمنة.

وللأمة الإسلامية منهجها الرباني الذي يضبط أخلاقها وقيمها المنظمة للحقوق الشخصية والضامنة لعدم تعدي الإنسان على حقوق الغير. إننا نرفض وبشدة محاولة قمع حق الأمة في أن تتبنى المنطق الفكري الخاص بها، ونؤكد أننا نهتم بالتعرف على حضارات الغير والاستفادة من النافع منها، مع التأكيد على أن الرؤى الغربية في مجال العقائد والتشريعات والأخلاق والقيم ليست عالمية، ولن تجدي محاولة جعلها كذلك. إن عموم المجتمعات الإسلامية قد بدأت تعتقد أن هجوم بعض الغربيين على الإسلام إنما يعكس فزع هؤلاء من الرسالة الحضارية للإسلام، التي تقف ضد الهيمنة الغربية بلاشك.

### الهجوم على نبي الإسلام (عليه الصلاة والسلام):

لقد اهتمت حضارات العالم بمعرفة أحوال المسلمين، وأخبار نبهم، وفتوحاتهم، لما لهذه الأخبار من آثار على الواقع العالمي منذ انتشار الإسلام. واتخذت بعض هذه الحضارات مواقف متعاطفة مع الإسلام كما حدث مع نجاثي الحبشة، بينما اتخذت حضارات أخرى كالصين والهند مواقف محايدة في ذلك الوقت، وأما الفرس والروم والبيزنطيون فقد تبنا فكرة المواجهة مع العالم الإسلامي. ورغم أن بعض الحضارات حاربت المسلمين، إلا أن معظم تلك الحضارات لم تحتفظ بتراث من الكراهية تجاه نبي الإسلام مثلما احتفظت به دويلات أوروبا وكنائسها. إن العداء النصراني للإسلام ولنبي الإسلام خارج أوروبا الغربية لم يتحول إلى كراهية تاريخية، يجري الاحتفاء بها وتأكيداتها في المناسبات الدينية وعلى حوائط الكنائس والأديرة، كما حدث في أوروبا الغربية. إن ما حدث في الغرب على مدى الألف عام الماضية من الاحتفاء بكراهية خير خلق الله هو ظاهرة مَرَضِيَّة، لم يشارك الغرب فيها أي من الحضارات التي وجدت خلال الفترة الزمنية نفسها، وهي ظاهرة تستحق التوقف عندها، ووضع السبل الكفيلة بالحد من آثارها.

إن الأمة الإسلامية ستحافظ دائماً على مظاهر دينها وستحميها بكل قوة، ومن أبرز وسائل ذلك الحفاظ على سيرة الأنبياء والصالحين من القدوات والشخصيات التاريخية الهامة في حياة الأمة، وأبرز تلك الشخصيات هي نبي الرحمة محمد ﷺ. إننا نسأل هنا: لماذا يسعى البعض في الغرب إلى هدم كل القدوات



التاريخية والمعاصرة؟ إن من كان بلا قدوة.. فهو بلا مستقبل. وأمة بلا تاريخ.. هي بناء بلا أساس. إننا على يقين أن التيار المادي الانحلالي في الغرب يريد أن تتخلص البشرية من النماذج المضيفة من البشر، وليس الهجوم على أختيار الأمة من الأنبياء وأتباعهم إلا حلقة في مسلسل التخلص من القدوات التاريخية. وسيظهر في مقابله حرص الأمة الإسلامية على عدم التنازل مطلقاً عن الدفاع عن نبيها، فهو نقطة فاصلة لا نرضى بتجاوزها مهما كانت المسوغات المتعلقة بما يسمى بحرية الفكر والرأي. إن العالم لا يمكن أن يتقبل رغباً عنه نتائج الحرية الفكرية في الغرب، كما أن الغرب لا يحب أن يتحمل نتائج بعض الحريات الإنسانية الأخرى في الشرق. إننا ندعو إلى وقفة جادة من المفكرين الغربيين للتعامل مع هذه الظاهرة، ونحن نتوقع من المفكر الغربي أن يكون حريصاً على مكتسبات حضارة الغرب، وليس عن حق الغرب فيما يزعم البعض في سباب الآخرين والاستهزاء بهم.

كما أننا نلفت الأنظار إلى أن بعض قيادات الكنيسة الكاثوليكية الغربية قد بدأ يلعب دوراً مشبوهاً في التحالف مع التيارات الليبرالية في مواجهة الإسلام، وإن كانت موافق الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية لا تعبر عن موافق كل الطوائف النصرانية. كما نؤكد أيضاً أن العالم الإسلامي لن يسمح بالعمالة الفكرية لبعض رموز التيارات العلمانية في بلاد المسلمين إذا تعلق الأمر بحرمات الإسلام خصوصاً.

### الاعتداء على المسجد الأقصى:

إن من التعدي على حرمت ومقدسات الأمة الإسلامية تكرار الاعتداءات على المسجد الأقصى، والتي تتم بمساندة أو سكوت معظم الحكومات الغربية، وتأييد بعض التيارات الدينية الغربية، وتجاوزات القوى الليبرالية الموالية للكيان الصهيوني الذي لا يرضى حرمة مقدسات الأمة المسلمة في أرض فلسطين. إن من اللافت للنظر أن الفيتو الأمريكي أصبح لا يستخدم غالباً في أروقة الأمم المتحدة إلا للدفاع عن الاعتداءات الصهيونية المتكررة على أرض فلسطين وعلى حماية الاحتلال الصهيوني لأرض المسجد الأقصى الذي لن تتنازل عنه الأمة الإسلامية مطلقاً. ونكررتساؤلنا لقادة الفكر والرأي في الغرب: أين موافقكم في مواجهة الظلم الحادث على الشعب الفلسطيني وعلى الأرض المباركة في فلسطين؟

إننا نراقب التناقض الصارخ بين الدعوة الغربية إلى تبني شعوب العالم الإسلامي النموذج الغربي للديمقراطية، بينما تحارب الحكومات الغربية نفسها ما تسفر عنه الانتخابات المعبرة عن اختيارات الشعوب الإسلامية عندما تأتي إلى الحكم بقيادات لا ترضى عنها حكومات الغرب. إن من العجيب أن الغرب الذي ينادي بالشفافية والإصلاح.. هو نفس الغرب الذي يدعم ويؤيد أنظمة لا تعبر عن اختيارات الشعوب، أو تيارات انتهازية لا توجد لها شعبية في أرض الواقع في عالمنا الإسلامي. إن

سكوت المفكرين والمثقفين الغربيين عن هذه التجاوزات يمثل وصمة عار على جبين دعاة الحرية والديمقراطية في العالم أجمع. إننا ندعوكم إلى إزالة هذه الوصمة بالانضمام إلى الكثير من المنصفين من مفكري العالم ومثقفيه ممن يدافعون عن حقوق الأمم في استعادة أراضيها المحتلة، وحقوق المجتمعات في اختيار من يمثلها ويدير شؤونها السياسية والاجتماعية، وحقوق الشعوب في الكرامة الإنسانية ومقاومة الظلم والاحتلال والتصدي للقهر والإذلال بكل الوسائل المشروعة.

### الاستهزاء بالحجاب:

إن الحرية الشخصية مكفولة في الديمقراطيات الغربية كما ينادي الغرب في أدبياته الفكرية والإعلامية، ومن ثم فإن من حق المرأة الديمقراطي ألا تمنع من حريتها الشخصية في أن تلبس ما تشاء مما لا يخالف القواعد الأخلاقية أو القيم العامة للمجتمعات الغربية. لكن العالم الإسلامي فوجئ بتزايد حملة الهجوم والاستهزاء بالحجاب الإسلامي في الغرب، وهو ما يناقض المبادئ الديمقراطية التي يجري الترويج لها في العالم الإسلامي. ولم تتحرك جمعيات الحركة النسوية العالمية للدفاع عن حقوق المرأة المسلمة، فهل حرية العري مقبولة ويدافع عنها - وحرية الاحتشام تحارب وتتهم؟!!

إن من يقود هذه الحملة الظالمة على لباس المرأة المسلمة هم من الشخصيات ذات الوزن السياسي الهام مثل وزير الخارجية البريطاني، وقرينة الرئيس الأمريكي (لورا بوش) وقرينة الرئيس البريطاني (شيرى بليير) التي علقت في مؤتمر صحفي عن الحجاب بقولها: "لا أظن أن هناك تعبيراً أكثر عن اضطهاد المرأة من غطاء الوجه". وشاركتها مرشحة الرئاسة الفرنسية (جين-ماري لي بن) بتصريحها عن لبس الخمار والجلباب قائلة "هذا شيء جيد؛ لأنه يحمينا من النساء القبيحات". فهل هذه هي أخلاق الغرب التي يريد للعالم الإسلامي أن يتعرف عليها، ويتخلق بها؟

إن حقوق الإنسان في الغرب تكفل حق الحفاظ على الهوية، بل وحمايتها وليس الهجوم عليها، فكيف يقبل الغرب أن يهاجم حق مواطنيه من المسلمين في اختيار ما يناسبهم من الملابس، وأين الغرب من إرثه الفكري والديني والاجتماعي؟ فقد كانت المرأة الغربية المتحلية بالأخلاق ولا زالت تلبس الملابس المحتشمة التي تقترب كثيراً من الحجاب الإسلامي كما في حال الراهبات ونساء الريف. فهل إذا تخلى الغرب عن هذا التاريخ، يعني أن على دول العالم أن تحذو حذوه؟ إننا نرفض أن تحارب الفضيلة في عالم اليوم، ولا نرى أن هذا يجب أن يكون ثمناً أو نتاجاً للتمدن والتطور؟ فهل المشكلة أن الحجاب قد أصبح رمزاً للفضيلة التي تحارب في عالم الغرب اليوم؟ وهل تسن القوانين والتشريعات المقيدة لحق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب الإسلامي كما نشهد الآن في عدد من دول أوروبا بهدف قمع حرية

الفكر والملبس للمرأة المسلمة في الغرب، أم بسبب عداة الإسلام الذي تظهره الأحداث الأخيرة المتلاحقة لدى البعض، أم بسبب عداة الفضيلة لأنصار التيارات التحررية، أم لإرضاء أمزجة وأهواء دعاة الانحلال الخلقي والاجتماعي؟ أسئلة نرى أن على قادة الفكر والرأي في الغرب أن يواجهوا تساؤلات العالم الإسلامي بشأنها، وأن يواجهوا أيضاً ما تشير إليه هذه الظاهرة من ازدواجية في معايير الحياة الفكرية في الغرب.

إن ظاهرة الهجوم على الحجاب، وسن القوانين التي تجرم ارتدائه إنما تعكس تهميش حريات الأقليات الإسلامية في الغرب، وإلا فكيف يفسر أن يحارب الحجاب ويسمح بالعري؟ إن للأقليات حقوقاً نطالب المنصفين من المفكرين في الغرب أن ينضموا إلى من يدافعون عنها؛ إذ لا بد من حماية الأقليات من طغيان الأغلبية في الأنظمة الديمقراطية، ومن إساءات التيارات العنصرية الغربية أيضاً.

### في الختام:

قد لا يكون واقع عالمنا الإسلامي مثالياً، ولكن أسس الإسلام العقديّة والتشريعية والحضارية والأخلاقية هي بالتأكيد مثالية، وصالحة لكل زمان ومكان. إننا نرى أن عالم الغرب قد حقق بلا شك الإبداع المادي، ولكن أسسه الحضارية على ما هي عليه الآن غير مفيدة للبشر على المدى الطويل. كما نؤكد لكم أن عيوب واقعنا لا تشتت رؤيتنا عن أهمية حضارتنا وديننا للبشرية. إننا نخاطبكم يا قادة الرأي ويا صنّاع القرار، ونخاطب من خلالكم الأغلبية الصامتة من الشعوب، ونخاطب أيضاً أولئك المتورطين في حملات العدوان على حرماننا ومقدساتنا ومقدراتنا، نطالب الجميع بالأمور الآتية:

أولاً: كفوا أيديكم عن ظلمنا وعن التدخل في شؤوننا والتعدي على حرماننا ومقدساتنا، إذ إن تلك التعديات سوف تأتي بأثار عكسية لا تخدم مصالحكم الاقتصادية التي لا غنى لكم عنها في بلادنا، والتي لن تتحقق إلا في ظل العدل والإنصاف.

ثانياً: ندعوكم أن تتعاونوا معنا لكي ترفع الأقلام، وتصمت المنابر الإعلامية والثقافية التي تتناول على المقدرات وتحديداتنا على قرآننا وشخص نبينا. إن البديل في حال الإصرار على استمرار ذلك التطاول هو أن تلجأ الأمة الإسلامية إلى استعمال حقها المشروع في مقاومة كل ألوان الهيمنة الثقافية والحضارية والسياسية والعسكرية مع الغرب، ولن تعدم الأمة أسبابها ومسوغاتها وآلياتها، وهذا حق مشروع في الدفاع ورد العدوان.

ثالثاً: نرى أن تخصصوا - بدلاً من حملات البحث والتخطيط الهادف لاحتوائنا والهيمنة علينا ثقافياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً- جزءاً من الجهد الفكري والعلمي للبحث عن الحقيقة فيما يتعلق

بالأزمة الحضارية المتفاقمة بيننا وبينكم، وفيما يتعلق بجوهر رسالة نبينا محمد ﷺ، وندعوكم إلى فتح الصدور والعقول لفهم أو تفهم عالمية إسلامنا. وحقائق ديننا وقيمنا قبل الهجوم عليها والصد عنها.

رابعاً: نشير إلى أهمية أن يهتم مفكرو وقادة الغرب بإصلاح شؤونهم قبل التدخل في شؤون دول وحضارات العالم الأخرى. فالغرب يحتاج حقاً إلى مشروع إصلاح جذري، وهو أولى من مشاريع الإصلاح التي يراد فرضها على عالمنا الإسلامي. نحن موقنون بأن مجتمعات الغرب ودوله مقبلة على هاوية سحيقة من التفكك والانهيار والإفلاس الحضاري؛ إذا استمر قاداته في مسلك يصدر المفسد والمظالم إلى العالم، حيث سترتد هذه المساوي كلها سهاماً في محور مصدرها ومروجها. إن هذه الرسالة تمثل دعوة إلى قادة الفكر والرأي في الغرب إلى تبني مشروع "إصلاح الغرب". إنه مشروع يهدف إلى كف الظلم والأذى، واحترام الأنبياء، ومناصرة الأبرياء وضحايا الظلم في العالم أجمع وليس في الغرب فقط. إننا ندعو مفكري الغرب وقاداته أن يتبنوا - قبل دعوات الإصلاح في العالم الإسلامي أو الشرق الأوسط الكبير كما يسمونه - إصلاح مجتمعاتهم فيما يتعلق بقيم الأسرة والزواج والفضيلة، وأن يحمي الفرد من إرهاب الشركات وسلطة الرأسمالية، وأن يحجم من نزعات العلوية الثقافية المنتشرة في أدبياته وإعلامه، وأن يعاد احترام وتقدير القيم الاجتماعية في مقابل قيم السوق، وأن ينضم إلى الجهود العالمية في مقاومة تهميش الفقراء، وإعادة الثقافة إلى التعليم. إنه مشروع أن أو انه لإنقاذ الغرب من سيطرة قلة لا دينية تسعى إلى هدم كل المعايير والقيم الأخلاقية في عالم اليوم.

خامساً: يجب على الغرب أن يعتذر عن إساءاته المتكررة على الإسلام، وأن يعتذر أيضاً عن الكثير من الجرائم التي ارتكبت باسمه ضد المسلمين إبان الاستعمار وقبله وبعده، ويجب أن يتفهم طرق إدارة القوة في عالم من التعددية الفكرية والثقافية.

أما رسالتنا إلى من يتبنون العدا للامة، فهي أن الإسلام لم يتوقف انتشاره عند مهاجمته في أي من العصور السابقة، وأن الأمة المسلمة لها قدرة فريدة على استعادة النهوض الحضاري بعد الكبوات كما يشهد بذلك التاريخ، وأن دور الأمة لن يتركز فقط في الدفاع عن حرمتها ودينها، بل سيركز أيضاً على فضح مخططات خصومها العدائية، وستعرف الشعوب الغربية أن ما يقوم به المعادون للامة الإسلامية في الغرب يضر العالم الغربي أكثر بكثير مما يضر الأمة المسلمة، ويفقد الغرب التعامل مع أكثر من مليار وربع من البشر يمثلون القوة الاستهلاكية الأكبر في العالم لمنتجات الغرب، وتجمع بلدانهم الإسلامية الرصيد الأكبر من كافة الثروات الطبيعية اللازمة لدفع عجلة التقدم والتمدن، ويحملون على عاتقهم النصيب الأكبر من إمكانية الحفاظ على العدل والإنصاف.

إن الانفتاح على ما عند الغرب من تقدم تقني نافع للبشرية لا يعني ولا يقتضي أن نقايط قيمنا بالاندماج في ثقافته أو قبول أن تفرض علينا. نحن نعارض الولاء الأعمى للغرب ولكننا في الوقت نفسه

لا نمانع من الاستفادة من إبداعه التقني والصناعي، وتبادل المنافع مع الغرب في تلك المجالات. وندرك أن العلاقة بين العالم الإسلامي وبين الغرب تحديداً علاقة بالغة التوتر في الفترة الأخيرة.

إننا ندعو قادة الفكر والرأي في الغرب إلى التعرف الحقيقي على دين الإسلام وعلى الأمة الإسلامية، وحافزنا في ذلك، ودليلنا إليه هو الأمر الرباني الذي ورد في كتاب الله - القرآن الكريم - ونجده أفضل ما نختم به رسالتنا إليكم. يقول الله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران:64).